نظرة الى العام الماضي

١٩٢٨

بماذا يمتاز في التاريخ ؟ ميثاق كلوج ام بكتاب برنارد شو ام بتقدم الخاطبات اللاسلكية ام بانتهاء الثورة في الصين ام بحادث النهال والمتوالي في ايطاليا على يد المحكومة ام بانتصارات الطيارين الباهرة

لاميل لدفيج الكاتب الالماني الكبير

ملخصة بتصرف قليل عن مجلة السفير الانكليزية

كان الناس في العصور الغابرة ينسبون تقشي الاوبئة او ثوران البراكين الى غضب الآلهة. وما زالوا في هذا العصر ، عصر النور والعلم ، ينظرون الى ثوران بركان اتنا مثلاً وتدفق حممه المدمرة على شواطئ صقلية الجميلة ، نظرهم الى انذار خفي تخطه يد القدر ، لتحذير الانسان من العبث بانظمة الطبيعة وآيات الحضارة . فاذا كنا قد تعودنا أن ننظر هذا النظر الى كارثات الطبيعة حقّ لنا ان نرى في الزلازل وثوران البراكين ونكبات البواخر التي حدثت في السنة الماضية اشارة بليغة تحذر الانسان من محاولة العبث بقوى الطبيعة واصلاء نيران الحرب وتدمير ما آتى العمران

ميثاق كلوج

وقد انتهت السنة الماضية من غير نشوب حرب وهذه الحقيقة من اهم ما تُذكر به. يضاف الى ذلك ان اميركا بعثت الى اوربا برسول محبة ووئام يحاول ان يبدع وسيلة لضمان السلام . فبعدما انقضت عشر سنوات على نشوب اعظم الحروب اجتمع ممثلو الدول الكبيرة والدول الصغيرة في باريس للتوقيع على ميثاق يحرّم الحرب . ومع ان هذا الميثاق ناقص نرى انهُ على الاقل اطار توضع فيه صورة . بل هو اشارة نبيلة ولا بدَّ لنا من الترحيب به . لانهُ اذا وقفت امم الارض مرة اخرى موقفاً حرجاً في مأزق سياسي خطير وباتت على شفا حرب طاحنة ، وساعد هذا الميثاق على تحريك ضمائر الشعوب مذكراً رجال السياسة القائمين اليائسين، بتلك اللحظة الرهيبة في ردهة الساعة في الكلي دورساي (وزارة خارجية فرنسا) كفى بميثاق كلوج فائدة وحقّ لهُ ان يحسب اعظم عمل تمَّ في عام ١٩٢٨ لتوطيد اركان الطمأنينة والسلام

الصين جمهورية

ولا بدَّ من القول ان اعظم الحوادث الدولية في العام الماضي وقع في الصين . ففي تلك البلاد المترامية الاطراف التي يكاد الباحث يعرى باطلاق لفظة قارة عليها ، انتقل اربعمائة مليون من البشر من حالة اضطراب وفوضى الى ظل الوحدة الذي انتشر بعد انتصار الفريق الجنوبي وانتاجه باكين عنوة . فبعد انقضاء عقد كامل من النزاع والنضال والثورة والقلق فاز رجال الجنوب ، الذين يتجهون في تفكيرهم اتجاهاً عصريًّا ، على ابناء الشمال الذين يتمسكون بالملكية ويستميتون في سبيلها . وهكذا اصبحت اقدم الممالك في التاريخ جمهورية وقضي فيها على سلطة الملوك

ولكن سلطان الطغاة لم ينقض بعد . فرئيس الجمهورية الصينية الجديد قائد حربي وعليه فالدولة الصينية في خطر من مطامع قائد اذا لبث في دست الرآسة اكثر مما يقتضيه دور الانتقال من العهد القديم المضطرب الى العهد الحديث المنتظم . وقد كتبت المواد الاساسية في دستور البلاد باحرف ضخمة على الاسوار التي تحيط بمدن الصين المقدسة . ولكن الباحث لا يسعهُ في هذا المقام ان ينظر الى انقلاب خطير كهذا الانقلاب من غير شعور بالحسرة والاسف على زوال عمران اقدم من عمران اوربا ولعلهُ أغنى وانفس . على ان عصرنا لا يعنى بنظم المرائي ، لان قوى عظيمة تتضافر على الرقي بهِ رقيًّا سريعاً وهي مستمدة من جماهير الامم ، فلا اقف هنا موقف المتحسر

المال والعمل في ايطاليا

ولما كانت جيوش الصينيين الجنوبية تتقدم الى الشمال لتحدق باكين وتقضي على تين الملكية فيها هبَّ طاغية ايطاليا للنزال مع تين اجتماعي كاد يقوّض اركان الامم العصرية ، فوقف في ستة آلاف من رجال الصناعة يعلن لهم الخطة التي قرّر ان ينتهجها في ربط المتمولين والعمال برابطة التعاون فقال : « في النظام الفاشستي الاقتصادي لم يبقَ العمال مستخدمين لا يكافأون مكافأة وافية على اعمالهم . بل هم شركاء في العمل ومستواهم الاقتصادي والروحي يجب ان يرتفع . فاذا اشتدت الأزمات كان من مصلحة العامل ان يقبل التخفيض في اجوره ولكن متى زالت الازمة صار من مصلحة المتمول ان يزيد اجور عماله . على اننا في ايطاليا لا نستطيع ان نتبع فورد وندفع اجوراً عالية جدًّا للعمال . ولكن تخفيض الاجور كثيراً ضارٌّ أيضاً لان الصناعة تميل الى نفسها اذا اضعفت مقدرة الجماهير على الشراء بتخفيض اجور العمال »

ولا نعلم الآن ما يلفهُ موسوليني من النجاح في تطبيق اقواله هذه على وقائع الحال .

فاذا افلح في التقريب بين المتمولين والفان تقريباً أساسهُ التعاون كان عملهُ هذا أعظم جداً من كل المساعي التي يبذلها لتوسيع ايطاليا وتقوية أسطولها وجيشها لان اوربا لا يهمها توسع امة من امم قدر ما يهمها القضاء على « حرب الطبقات »

حرب الطبقات

واعضل مرض أصاب عمراننا الحاضر هو «حرب الطبقات» هذا .وعلاجهُ لم يوجد الى الآن الاّ في عالم العلم والاستنباط . لانهُ كلما ازداد التناحر بين الطبقات على السيطرة وكثرت المستنبطات التي تغني عن عمل الانسان اليدوي ورخص المستلكات وتزيد السرعة في توزيع البضائع وتعميمها . وهذا الطريق العلمي أصلح الطرق لتوزيع مقومات الرخاء البشري كما كان استنباط المطبعة خير سبيل لنشر الآراء والحقائق . وكما كانت الكنوز الروحية والفكرية في العصور الوسطى في متناول الملوك والامراء والكهنة فقط كذلك كانت وسائل الرفاهة والرخاء في القرن الماضي في متناول الاغنياء فقط . فجاءت المطبعة ونشرت المعارف في كل انحاء الارض وكل طبقات الناس ثم جاءت المستنبطات الحديثة فجعلت الاغنياء ومتوسطي الحال سواء في كل ما يلزم للعيش الهني والحياة الرغدة

المستنبطات والمكتشفات

وأكثر المستنبطات والمكتشفات العلمية في العام الماضي تمَّ على يد الاميركيين والالمان. فالالماني اوبرث اشتغل سنة ١٩٢٣ بوضع القواعد العلمية لطيارات وسيارات تسير بقوة الصواريخ المتفجرة وتناول هذا البحث نفسهُ الاستاذ غودرد الاميركيُّ مستقلاً عن الباحث الالماني . على ان الالمان كانوا أسبق الى بناء سيارة تسير بهذا المبدإ الجديد في يونيو سنة ١٩٢٨ . وسواء فشلت التجربة الاولى او نجحت ، فاليوم الذي جرّب فيه هذا النوع الجديد من السيارات سيبقى خالداً في التاريخ لانهُ فاتحة عصر جديد في وسائل الانتقال. اما متى يتم الطيران الى النجوم على ما يحلم به المشتغلون بهذا البحث الخلاّب فلا يزال طيَّ الكتمان . ولنذكر ان نبوليون قال « لا أعرف كلمة المستحيل »

وفي الصيف الماضي نجح الطيار الاسباني ده لاشيرفا بالطيران من لندن الى باريس بطيارته « الاوتوجيرو » التي ترتفع من الارض ارتفاعاً عمودياً من غير ان تجري مسافة طويلة كما تفعل الطيارات الآن . وتستطيع كذلك ان تنزل الى الارض نزولاً عمودياً من غير ان تحوّم فوق المطير ثم تقف حيث تحطُّ . وتلا ذلك في الخريف فوز البلون الالماني غراف زبلين بالطيران من المانيا الى اميركا وعودتهُ منها . ونحن لا نقول ان هذا البلون هو اول بلون اجتاز المسافة بين اوربا واميركا لان أحد الانكليز نجح في

ذلك منذ تسع سنوات . ولكنهُ اول بلون اجتاز هذه المسافة حاملاً في مركبته الركاب وأكياس البريد . وشهرة الدكتور اكنر صانعهِ وربانهِ ، تقوم في رأيي على اعترافهِ بأن البلون « غراف زبلين » ليس من المعدات الكاملة من حيث هو وسيلة لنقل الناس وانهُ ينوي ان يبني بلوناً آخر يكون أوفر راحة وأضمن سلامة للمسافرين . كذلك كان طيران الطيارين الالمانيين من ارتدا الى اميركا من حوادث العام الماضي التي لا بدَّ ان يكون لها أثر معنوي كبير في تثقيف الناس وتمهيد الطريق الذي شقهُ للدرغ لتقدم الطيران

قرأت منذ اسابيع ان أحد الاميركيين صنع سلكاً تلفونياً ضخماً اذا استعمل بالاشتراك مع شركات المخابرات اللاسلكية جعل ربط القارات المختلفة بالمخابرات التلفونية (سلكية ولاسلكية) في الامكان . ومع ذلك لم تنشأ مخابرات تلفونية لاسلكية بين اميركا وقارة اوربا الا في العام الماضي . وكنت ذات يوم في داري في حرج قرب برلين فخاطبني صديق لي من شيكاغو ، فلما سمعت نبرات صوته تحملها الامواج اللاسلكية مسافة ٥٠٠٠ ميل تفصل بيننا ، شعرت بروعة العمل وجلاله ، ولم احسَّ اننا على الارض الا حينما اخبرني صديقي انهُ ينوي ان يطلق امرأتهُ

فهذا الارتقاء وما تمَّ من التقدم في نقل الصور مسافات شاسعة على ايدي ميالي المجري وكورن الالماني وغيرهما من المستنطين الاميركيين نراها ابعد أثراً في العمران من كل الغازات السامة والسيارات المسلحة والغواصات الفتاكة التي اتقنت في العام الماضي

وعندي ان هذا التقدم العلمي أعظم من كل الصور التي صوّرت والروايات التمثيلية وغيرها من الكتب الادبية التي ظهرت . لان هذا العصر عصر العلم ولا يثير رجال الفن عليهِ الا عاهم عن حسناته

لم يكشف في العام الماضي عن حقيقة بيولوجية خطيرة ، ولكن يجب ان نذكر ان المكتشفات الخطيرة في علم من العلوم تقتضي بحثاً مستفيضاً وتحقيقاً دقيقاً يستغرق سنين طوالاً فلا نستطيع ان نقيدها بتاريخ محدود

نظر العلماء قبلاً نظر الريبة الى قول العالم النباتي الروسي غورتش الذي قال منذ بضع سنوات ان جذراً نباتياً ذبيحاً فيهِ الانحلال ، وزالت منهُ آثار الحياة يعود الى النمو اذا وضع قرب جذر حيّ ملامس لهُ ، وان النمو في الجذر الميت يحدث في الجهة التي يلامس عندها الجذر الحيّ . ولكن هذه الحقيقة النظرية تأيدت في الصيف الماضي بتجارب مختلفة جربت بثلاثة انواع من الميكروبات . وفي توفمبر الماضي اثبتت مباحث الاستاذين سوَر بروخ وشومان ان اشعة تصدر من الاجسام الحيَّة وتتصل بالاجسام التي حواليها . والجديد في

هذه النتيجة ان التغير في كهربائية الجسم يؤثر في الاجسام التي تحيط به . ولعلَّ البحث في هذه الناحية يؤدي بنا الى معرفة طبيعة الميل والنفور وما اليهما من الانفعالات النفسية

الطب

الى هنا تنتهي اعظم وجوه الارتقاء العمراني ، اعني الارتقاء الطبي والصحي . لانهُ ماذا نستفيد من اتقان وسائل التخاطب والانتقال ان لم نتمكن من اطالة العمر وتوفير اعداد الحياة للتمتع باسباب الراحة ووسائل الهناءة والرغد

وقد اجتمع في الصيف الماضي مؤتمر السرطان الدولي بلندن فحضرهُ اكبر علماء الطب من ثمانية عشر بلداً واجمع المؤتمر تقريباً مع اختلاف اطبائه في اصل السرطان واسبابه على انهُ داء قابل للشفاء وان استعمال الراديوم واشعة رنتجن والرصاص مفيد في معالجته. وتقدم البحث في انواع الفيتامين فكُشف عن نوعين جديدين منهُ كشف عنهما فندوس الاستاذ الالماني الذي فاز بجائزة نوبل مكافأة لهُ . وارتقت المباحث في طبيعة الغدد الصماء وفعلها فاثبت الاستاذ اڤانز الاميركي مقدرتهُ على تحويل الذكور الى اناث . وفي الربيع الماضي نجح الاستاذ ارلست لكبور الالماني في معالجة ذكور الماعز باستردام حتى صارت تدرُّ لبناً ، ولكنهُ لم ينجح في جعلها ولودة

الادب والفن

ولدى مراجعة الحوادث والمكتشفات التي تمت في العام الماضي يرى المتأمل ثلاثة امور (اولاً) أن العام الماضي لن يخلد بصورة عظيمة صوّرت فيه . ولو سئلت ما هو اعظم كتاب ظهر من حيث فائدته للبشر لاستطيع ان اسمي رواية من الروايات بل اذكر كتاب برنارد شو المسمى « دليل الى الرأسمالية والاشتراكية » . (ثانياً) يرى القارئ ان كل الامم اشتركت في ترقية العلم والعمران مع اقتصاري على امثلة قليلة في كل فرع من فروعها . وذلك لان مسائل العلم تسمو عن مسائل القومية . واناكلماني ، افخر بان المانيا الحديثة تنظر الى اعمال علمائها فخورة بهم من غير ان يُحفظ افتخارها صدور جاراتها. (ثالثاً) ان البشر تقدموا في العام الماضي هذا التقدم لانهم اتقنوا طرق التخليد والتجديد تخليد العلم والعلماء ، وتجديد ذكرهم ولا بدَّ ان يحيي يوم يكفُّ فيه الناس عن رفع التماثيل للقواد فيعنون برفعها للاطباء والمستنبطين . ان « ردهة الشهرة » في نيويورك تحتوي على ستة وستين تمثالاً للاميركيين الخالدين ، القواد بينهم ثلاثة فقط . ان هذا لفخر لاميركا ودرس بليغ لاوربا . واعظم ما اتمناهُ للبشر ان يضم العام الجديد تحت جناحيه العالم القديم والعالم الجديد وقد نقص فيهما القواد وزاد المستنبطون